الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق للدعوة :

بيوت الرياض كانت تدوي في الثلث الأخير من الليل بقراءة القرآن والتهجد

حوار - عبدالإله الشايع:

هذا اللقاء مع رحالة داعية زار جميع قارات العالم وطاف ٥٦ دولة في العالم، والتقى مع الكثير من العلماء والزعماء في العالم، وكثيرمن الدعاة والعلماء ورؤساء الهيئات الاسلامية في العالم بل التقى مع زعماء بعض الحركات المنتسبة للاسلام. له تجربة طويلة في الدعوة ننقلها من خلال هذا الحوار الموسع مع رجل عايش الدعوة الاسلامية لمدة جاوزت نصف قرن:

زرت ٥٦ دولة .. داعية؟!

□ في البداية نود منكم الحديث عن سيرتكم العلمية والذاتية؟

- إسماعيل بن سعد بن إسماعيل بن الشيخ حمد بن عتيق ولدت عام ١٣٥٧هـ في مدينة الأفلاج، وتخرجت من كلية العلوم الشرعية من جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٣٨٤هـ، وحصلت على شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية من جامعة البنجاب في باكستان. توليت القضاء، ثم مراقبة المطبوعات، ثم مديراً عاماً مساعداً للدعوة، ومديراً عاماً للمتابعة، ثم باحثاً علمياً في رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، وتقاعدت عام ١٤١٧هـ.

□ ما المؤلفات التي ألفتموها؟

- المؤلفات هي :

- حوار مع القاديانية وجهاً لوجه - وميض نار أم شعاع نور في الغرب - الموارد الشرعية في المكاسب النقدية - أربعون يوماً في ألبانيا - موسكو التي شاهدتها - تاريخ من لا ينساه التاريخ - إتحاف القارىء بالمختار من أشعاري - نظم العقيق في مراثي مشايخ آل عتيق - جماعة التبليغ كما عرفتهم - أعلام وعلماء شاهدتهم هداية الطريق من فتاوى حمد بن عتيق (جمع) - المجموع المفيد من فتاوى سعد بن عتيق (جمع).

□ عرف عنكم كثرة رحلاتكم وجولاتكم الدعوية في العالم فما الدول التي زرتها؟

- زرت ٥٦ دولة في جميع القارات والدول التي زرتها هي: الكويت، البحرين، الإمارات، عمان، لبنان، سوريا، الأردن، اليمن الجنوبي سابقاً، اليمن الشمالي سابقاً، مصر، المغرب، تونس، السودان، موريتانيا، الصومال، جيبوتي، تنزانيا، كينيا، الحبشة، نيجيريا، السنغال، سراليون، غانا، جامبيا، مالي، سريلانكا، باكستان، بنجلادش، جزر المالديف، تايلند، الفلبين، سنغافورة، اندونيسيا، ماليزيا، اتحاد روسيا، أمريكا الشمالية، المانيا، ايطاليا، البانيا، اسبانيا، ايرلندا، استراليا، بلجيكا، تركيا، ترندادا، فنلندا، فرنسا، فنزولا، السويد، الدنمرك، هولندا، النرويج، قوينا، ابرازيل.

وقد طفت هذه الدول للدعوة إلى الله، وحضرت الكثير من الندوات والمؤتمرات، ومثلت سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله في كثير من المهمات الرسمية.

□ اشتهرت أسرة آل عتيق بكثرة العلماء والقضاة فمن أبرز علمائها وقضاتها؟

- علماء أسرة آل عتيق هم: حمد بن علي بن محمد بن عتيق، المولود سنة ١٢٢٧هـ المتوفى سنة ١٣٠١هـ، وأبرز مؤلفاته «إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد».

سعد بن حمد بن عتيق قاضي الرياض: المولود سنة ١٢٦٨هـ «المتوفى سنة ١٣٤٩هـ، وقد جمعت رسائله وفتاويه في كتاب «المجموع المفيد من رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن عتيق» ومن القضاة:

الشيخ سعد بن حمد بن علي بن عتيق - الشيخ عبداللطيف بن حمد بن علي بن عتيق - الشيخ عبدالله بن حمد بن علي بن عتيق - الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن حمد بن عتيق - الشيخ إبراهيم بن عبدالله بن حمد بن عتيق - الشيخ سعد بن إسحاق بن حمد بن عتيق - الشيخ إبراهيم بن عبدالرحمن بن ناجي بن عتيق - الشيخ عبدالرحمن بن سعد بن عبدالرحمن بن عتيق.

■ مثلت «ابن باز» في كثير من المهام الرسمية خارج المملكة

المملكة والدعوة

□ نرجو منكم إلقاء الضوء على جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله في الخارج من خلال ما شاهدتم في رحلاتكم؟

- للمملكة جهود عظيمة في حقل الدعوة وكمثال سريع لذلك تم افتتاح مكتب الدعوة عام ١٣٨٥هـ، وكان أحد القناة التي من جملة أربع قنوات أوجدها الملك فيصل رحمه الله لخدمة الدعوة إلى الله في الخارج وهي: القناة الأولى: هذا المكتب التابع لسماحة

■ نعم عند بعض الجماعات الإسلامية انحرافات عقدية

المفتي العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ – رحمه الله – ويركز على إرسال الدعاة إلى خارج المملكة وبالأخص القارتان آسيا وأفريقيا.

القناة الثانية: افتتاح الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية عام ١٣٨١هـ، والتي استقطبت جملة من أبناء العالم الإسلامي إذ تقدر نسبتهم ٨٠٪ من طلاب الجامعة الإسلامية.

القناة الثالثة: رابطة العالم الإسلامي والتي تمثل أعيان ورؤساء الجمعيات والمراكز الإسلامية في الخارج ومقر هذه الرابطة مكة المكرمة، تشمل كل دولة من الدول الإسلامية أبرز علمائها وشخصياتها.

القناة الرابعة:منظمة المؤتمر الاسلامي ومقرها جدة، وهو يعنى بالأمور السياسية لخدمة الإسلام والمسلمين، وهذه كلها من روافد دعوة التضامن الإسلامي التي تبناها الملك فيصل ـ رحمه الله ـ ضد الشيوعية والصهيونية العالمية مما كان له الأثر الأكبر في تجمع العالم الإسلامي بكامله، وقد كان لهذه الدعوة صدى في العالم الإسلامي، ولا يزال هذا التنظيم مستمرا كل قناة تؤدي رسالتها على الوجه الأتم.

ومما يتعلق بالدعوة فقد توسعت دائرة العمل وتم افتتاح مكاتب عدة في عدد من الدول كما تم ابتعاث عدد كبير من الدعاة والمرشدين ممن تخرج من الجامعات الإسلامية في المملكة العربية السعودية ومن أهل تلك البلاد ممن يوثق في استقامتهم وتوجهاتهم العقدية والسلوكية، ونرى اتساع الدعوة حينما ترأس سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ إدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد، فقام بجانب العمل الرسمي بأعمال أخرى منها ابتعاث الدعاة على حساب الخيرين، كما قام بتبني كثير من المساجد والمشاريع الخيرية ودور الأيتام، وتوسع في طباعة الكتب ومنها مجلة البحوث الإسلامية، وطبع وترتيب فتاوى اللجنة الدائمة، وجمع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحته تجاوزت ثلاثة عشر مجلدا، ثم كان التوسع أكبر حينما تحولت أعمال الدعوة إلى وزارة الشؤون الإسلامية، فقامت الوزارة بدورها الأهم بتبني المراكز الإسلامية وبالأخص في الدول الأوروبية، كما تبنت الوزارة تنظيم المحافل والملتقيات في أنحاء العالم الإسلامي.

ولقد مرت الدعوة منذ عام ١٣٨٥هـ إلى عام ١٤٢٠هـ بكثير من الأطوار، وأصبحت الآن مبادىء الإسلام ومعالمه واضحة بعد أن كادت تختفي من أجل التأثر بمبادىء صوفية فتجلت معالم التوحيد في كثير من الدول وأضحت الطرق الصوفية المعتبرة آنذاك تخسر شبابها وتنكس أعلامها، واتجه الناس إلى علم التوحيد والعقيدة الصحيحة، ومما أزال من الأذهان ما كان يثار قديماً عن الوهابية وأنها مذهب خامس، وأنهم يكرهون الرسول ﷺ وينقصون من قدر الأولياء، فلم يبق لهذا المفهوم أثر لا عند الخاصة ولا العامة وهذا دليل على حسن المقصد ووضوح المنهج والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً

بدايات نور على الدرب

□ لفضيلتكم مشاركات في برامج الإذاعة؟

– نعم شاركت، وكان من أقدم مشاركاتي وأبرزها المشاركة في إعداد وتقديم برنامج «نور على الدرب» في بدايات هذا البرنامج، حيث كان هذا البرنامج تابعاً للإفتاء، وكان يقدم كل يوم جمعة فقط، وقد كان دورنا فيه هو اختيار المشايخ والاتصال بهم، وتحديد الموضوع، وقراءة الأسئلة عليهم، فكنا نختار موضوعاً يكون مهما للمجتمع مثل موضوع الحجاب، أو موضوع المسكرات والمخدرات، وتكون الأسئلة حول هذا الموضوع، ونستضيف شيخين في الحلقة ومن أبرز هؤلاء المشايخ: الشيخ صالح اللحيدان، والشيخ صالح بن غصون رحمه الله، والشيخ صالح الأطرم والشيخ صالح العلي رحمه الله.

ثم جاء الأستاذ عبدالله فرح الغامدي الذي توسع في اللقاءات وكان يستضيف بعض المشايخ من خارج مدينة الرياض، ثم جاء الشيخ محمد بن حسن الدريعي وتسلم التقديم، ثم الشيخ سليمان الشبانة حيث تفرغ لهذا العمل حتى توفي رحمه الله وقد كان متفانياً في العمل.

رحلتان إلى نجيريا بينهما ثلاثة وثلاثون عاماً

□ زرتم نيجيريا عام ١٣٨٧هـ، ثم كررتم الزيارة عام ١٤٢٠هـ وبين الزيارتين ثلاثة وثلاثون عاما، فما الفوارق التي وجدتموها بين هاتين الزيارتين؟

– أولاً: كانت العاصمة لاجوس وهي موطن اليوربا القبائل الوثنية التي دخلت في الإسلام قبل خمسة عشر عاماً كانت فكرة نقل العاصمة إلى الشمال مدينة كانو وسكان الشمال هم الهوسا والفلاتة وهم لهم قدم في الإسلام ودولة وخلافة لا تزال آثارها. ثم تم تحديد العاصمة في مدينة أبوجا التي تبعد عن كانو أربعمائة وخمسين كيلو، وعن لاجوس قرابة ١٠٠٠ كيلو ومدينة أبوجا قيل إن معناها أبو بكر وهي بلاد الهوسا ووجود العاصمة في بلاد الهوسا مكسب للمسلمين، حيث إن إدارة البلاد وقمة الساسة هم من الهوسا إلا أن الاستعمار والعوامل الأجنبية تفضل اليوربا لما هم عليه من تسامح أو بالأصح من التدين بديانتهم وكثرة من يتنصر منهم ولكن مع هذا فإن الصراع قائم بين القبيلتين ولا تزال الدماء تسفك من حين إلى آخر وآخر ما صرحت به الأنباء أن عدد القتلى ٣٠٠ من الطرفين الهوسا واليوربا. وقد سألت إمام الجامع المركزي عن سبب هذه الفتن فقال سببها بسيط ولكن النفوس متهيئة إلى المشادة والقتال، وكان من عادة الوثنيين أن يجتمعوا براهبهم إلى منتصف الليل فإذا خرجوا ووجودوا امرأة أمامهم قتلوها أيا كانت نسبتها القبلية أو الدينية، وقد كان أولى ضحاياهم امرأة من الهوسا فانتقم الهوسا من اليوربا بقتل عدد كبير منهم وهكذا قامت الفتنة بين القبيلتين المتنافستين في كل

■ أول مكتب للدعوة افتتحه سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ

اللحيدان والأطرم وابن غصون وصالح العلي من أوائل المفتين في «نور على الدرب»

أمرأة هي سبب القتال بين قبيلتي الهوسا واليوربا في افريقيا !

خلاف وطني أو ديني غير أن الحكومة تسعى لاخماد الفتنة قدر الإمكان. وخلاصة القول إن وجود العاصمة في شمال نيجيريا يعطي مركزاً وهيبة للهوسا أكثر مما كانوا عليه من قبل، هذا هو التغيير الأول الذي جدّ بين زيارتي الأولى لنيجيريا عام ١٣٨٧هـ وزيارتي الثانية عام ١٤٢٠هـ.

ثانيا – التغيرات والتوجهات السلفية:

فيما مضى لم يكن يقدر أحد أن يقبض يده اليمنى على اليسرى ويضعهما فوق صدره في الصلاة وخاصة في الشمال المتمسكون بالمذهب المالكي فهم شديدو الحساسية لمن يخرج على سنة ظاهرة اقتنع بها المذهب المالكي وكان الشجار يقع دائماً إلى حد المواصلة وترك الصلاة خلف من يقبض ولم يسدل. كما لاحظت قلة المسابح التي كانت شعاراً لأهل الذكر من المسلمين ولا يتخلى عنها أحد عقب الصلاة من الإمام إلى سائر المأمومين وفي نظرة عامة وجدت جل المصلين لا يحملون هذه المسبحة، بل يسبحون بأيديهم كما هي السنة وهذا دلالة على التأثر والتلقي لمبادىء السلف وعدم السير على العادة والمألوف وقد سألت عن أحوال مدينة أهل سكوتور دار الخلافة هل كانوا على ما كانوا عليه في أزمان غابرة، إذ كانوا لا يتوضؤون بل يتيممون مع وجود الماء مقيمين في بيوتهم فقالوا: زالت هذه العادة واضمحلت وتأكد لدى الجميع عدم صحة صلاة من لم يتوضأ وهو قادر على الوضوء وإنما يباح التيمم من أجل عدم القدرة على استعمال الماء فالحمد لله على ذلك، وظاهرة ثالثة كانت عند اليورباويين من المسلمين وهو تعدد الزوجات إلى أكثر من أربع وبالأخص عند مشايخ الطرق ومن يتلقى من المريدين ما يهدونه إليه من البنات وقد أفاد الإخوان بخفاء هذه الظاهرة وتلاشيها وذلك بموت القادة الكبار من أئمة التيجانيين وفي مقدمتهم الشيخ/ إبراهيم إيناس الكولخي السنغالي الذي كان يقول (من رآني أو رأى من رآني في جنة الفردوس حقاً يراني»!! مات وكان يدعى بشيخ الإسلام في غرب إفريقيا عليه من الله ما يستحق، هذا كما قد سألت عن نشاط القاديانيين الذين كان لهم الصولة والجولة في ذلك الزمان فقالوا لقد اندثرت آثارهم واضمحلت أعمالهم وباؤوا بالفشل ومما كتبته بعنوان (حوار مع القاديانيين وجهاً لوجه) وفيه شيء من المجاملة لما لهم من صولة وجولة وتأثير آنذاك.

□ كانت تربطكم بسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز – رحمه الله – علاقة وثيقة، عندما توفي سماحة الشيخ قلتم قصيدة في رثائه هل لكم أن تتحفوا القراء بها؟

– في يوم الخميس ٢٧ من شهر الله المحرم أفل نجم قطب الزمان ودلالة الساري في الليل البهيم، العلامة شيخ الإسلام عبدالعزيز بن باز رحمه الله الذي طبق ذكره الخافقين فإنا لله وإنا إليه راجعون، وفيه قلت هذه الأبيات المتواضعة:

اللثام فما رأيتك تنطق
هل ما سمعت من الكلام محقق
هل كان حلماً أم تنبؤ كاذب
أم كان وهماً يا ترى من يصدق
إن الحقيقة والحقيقة كلها
أن الممات لكل باب يطرق
من يأمن الأحداث أو ينسى القضا
فجهالة ظَلُما وعقل أحمق
إن المنية كالعطية تختبا
حتى يبدد شملها من ينفق
كرم السجايا من تخال بسمْته
خلق الملاك فسبحوا من يخلق
عبدالعزيز ومن يكون كعزه
علم يلوح بكل حين يخفق
قطب الزمان ومن يكون كقطبه
كرم الضيافة بيته لا يغلق
ثبت الجنان ومن يكون كعقله
مثلاً تراقبه العيون وتحدق
صلى الإله على النبي محمد
ما غاب ليل أو تشعشع مشرق

□ ما توجهاتكم الأدبية والشعرية؟

– كان لي ولع بالشعر منذ أيام المراهقة فقد ولعت بقراءة الأشعار العربية وفي مقدمتها المعلقات السبع حيث كانت مما هو مقرر في منهج الأدب العربي في السنة الأولى الإعدادية كما قد رافقت ديوان الشاعر النجدي المسمى (بالعقد الثمين في شعر ابن عثيمين) والديوان يحتوي على مدائح للبيوت الثلاثة آل سعود وآل خليفة وآل ثاني، كما كان فيه جملة من قصائد الرثاء لعلماء هذه البلاد وكما هو معلوم أن الشاعر ابن عثيمين يدعى بشاعر نجد الكبير، فمع قلة قصائده لكنها تحاكي الأدب الجاهلي بجزالة ألفاظه واختيار معانيه فكنت قرين هذا الكتاب أو كان هو قريني اقرؤه صباح مساء واتغنى بلحنه وترديده حتى انطبع في مخيلتي من الأغراض الشعرية ما طرقها شاعر نجد الكبير المديح والرثاء وقد كانت تجدني الأولى في المديح حين قدم الملك سعود إلى مدينة بريدة عام ١٣٧٧هـ وأقيم له حفل في المكتبة العامة التي كان يديرها ويقوم بالتعليم فيها سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد وقد كان من ضمن ما يلقى في برنامج هذا الحفل قصيدة قلتها للملك سعود ومطلعها:

ربع الحبيب تجلى ينبت البانا
عرج لساحته لا تخشي عدوانا

ومنها:

سعود سعدت والسعدى مسومة
على الجبين بحول الله مولانا
لقد أضاءت ربوع عذب قاطبة

وأصبح الناس بالخيرات مزدانا

كما كتبت في باب الرثاء وإظهار محاسن الموتى فقلت في علمائنا أشعاراً تضم إلى باب الرقائق والتذكيربما بعد الموت فقد تجاوزت قصائدي في الرثاء ثلاث عشرة قصيدة كلها في أجلة العلماء وفي مقدمتهم سماحة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم وأخويه الكبيرين سماحة الشيخ عبداللطيف وسماحة الشيخ عبدالملك وممن رثيته من أقارب ممن يربطنا بهم رابطة النسب الشيخ حمد بن عبداللطيف جد أبنائي لأمهم وكذا ابن عم عبدالعزيز بن الشيخ سعد العتيق وقد تطرقت في أشعاري إلى أغراض متنوعة غير ما سلف ومنها الوصف للديار، حيث قلت جملة من قصائد في كل بلد أحلها ومن ذلك جزيرة سيلان التي قلت فيها قصيدة عصماء وكنا في بلاد المغرب والبلاد الأوروبية والدول الأفريقية وقد كانت إثارة مشاعري الشعرية تكون في خلوتي وجلوتي وبعدي عن الوطن وأحبتي فقلت في وصف تلك الحال قصائد متعددة قد لا تكون لها أهميتها في معالجة قضايا إسلامية ولكنها الشعور الذي ينبضه ذلك القلب الذي اغترب فكان وحيداً في كثير من البلدان على اختلاف لغاتها وأجناسها وطبائعها مما أوجب إثارة المكامن.

انحرافات الحركات الإسلامية

□ ما هو تقييمك للمنظمات والحركات الإسلامية الحالية؟

– لقد كان لي شرف الانتماء للدعوة إلى الله عز وجل بصفة شخصية وبصفة رسمية مما جعلني أتا بع كثيراً من المنظمات الإسلامية والحركات التي تقوم بالدعوة إلى الله عز وجل على اختلاف مناهجها وتباين طرقها وتباعد أمصارها ودولها.

ونحن أتباع السلف القائلين بتفسير التوحيد تفسيراً يتفق ما عليه سلف الأمة ولقادة الأئمة نختلف مع هؤلاء كل الاختلاف فعقيدتنا أن التوحيد هو قاعدة العمل وأساس الاخلاص في كل شيء، أما أولئك

■ برنامج «نور على الدرب» كان يذاع كل جمعة، وقد شاركت في تقديمه

■ كان سماحة الشيخ ابن إبراهيم إذا أنكر على أحد قال «سبحان الله»

فقد قالوا إن الحاكمية هي المنطلق الأول لجميع الأعمال مما جعل قادتهم وزعماءهم يفسرون التوحيد بهذا التفسير لا إله إلا الله الحاكمية لله، وهذا تفسير حدث لم يكن في عهد من سلف ممن فسروا التوحيد بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية وبما عليه سلف الأمة.

أما الاتجاهات الصوفية وإن أحسنا الظن الجماعات السلوكية التي تهتم بالسلوك والتعبد وإظهار الدين فظهر التنسك والاقتداء بهدي النبي صلى الله عليه وسلم في جانب من جوانب العبادة ألا التنسك والتعبد وإن شئت فقل التصوّف، فهذه المجموعة من البشر قد استبدت في دول إفريقية وآسيوية حتى لا تكاد تحصر اسماءها وتعرف زعامتها إلا أن في بلاد الهند والباكستان تبرز الطرق الأربعة. النقشبندية والجشتية، – والقادية والسهرنوفورية وقد كانت هذه الدعوات لا تتجاوز أركانها الرئيسة في كل بلد وقطر إلا أنه قبل مئة عام أو تزيد قامت حركة جماعة التبليغ في الهند وهي في أصل تكوينها من جامعة ديوبند الشهيرة والتي تدعى بأزهر الهند، قام الشيخ محمد الياس بتجارب عدة في ارجاع الناس إلى الأدب الإسلامي والسلوك السوي وأتباع الهدي النبوي في حدود معرفته ثم أخيراً توصل إلى أن هناك أموراً ستة لا بد أن تكون في متناول الجميع قولاً وعملاً وتطبيقاً.

أولها: الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ثانيها: العلم والذكر.

ثالثها: إكرام المسلمين.

رابعها: إخلاص النية في جميع الأعمال.

خامسها: الخروج في سبيل الله لإصلاح النفس.

قامت هذه الدعوة التي يرعاها علماء اليوبند من الناحية الفقهية في المذهب الحنفي ومن الناحية في الطرق الأربعة المذكورة واتسعت رقعة هذه الدعوة خارج الهند إلى باكستان ثم إلى آفاق المعمورة حتى لا تكاد اليوم تحل بلداً أو مصراً أو قرية إلا وتجد آثار تلك الجماعة الفقيرة الزاهدة وإن شئت فقل الجاهلة المتجاهلة كثيراً من أحكام الشرع ومقاصد التوحيد.

وإذا كنا قد أشرنا إلى الانحراف عند الجماعات الإسلامية في معنى التوحيد، فإننا نقول إن هؤلاء كذلك انحرفوا عن معنى لا إله إلا الله إلى نفي الأسباب أو بالأصح إلى تفسير التوحيد بالربوبية وبذكر أوصاف الرب وعظمته وكبريائه فهم يقرون بذلك إظهاراً لعظمة الباري تبارك وتعالى.

□ ما دوركم في الكتابة والتأليف؟

– لم أكن من أولئك الذين يجمعون من بطون الكتب ويبوبون الأبواب والفصول ولم أكن من أولئك الذين يقتبسون أفكار الآخرين ويبنون على أنقاضهم أمجاداً يعزونها لأنفسهم لذا كان توجهي فيما أكتبه إبراز أعلام علماء وليس ما أكتبه جرياً على العادة والتقليد بذكر ميلاده ووفاته ولكن أبلور منهج العالم أو الداعية لأبرز مجهوداته ونشاطه وتوجهاته وإيضاح فكرته ومنهجه بدأت تجربتي الأولى بإصدار سلسلة اسميتها «أعلامنا في سجل التاريخ» ابتداء من الإمام محمد بن عبدالوهاب ومثنيا بابنه الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ثم بالإمام محمد بن سعود ورابعاً بالشيخ الإمام حمد بن محمد وتتابعت تلك الكتابات لأعلام أخذ منها ما طبع ومنها ما لم يطبع فما طبع كتابي «تاريخ من لا ينساه التاريخ» وتاريخ مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وكتابي «هذا هو الإمام الشيخ صالح بن أحمد الخريصي» ومما لم يطبع «المثال من الرجال» الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي ولقد عنيت أشد العناية بدقة الأسلوب لحساسية الموضوع وأهميته في سجل التاريخ وعلى الله قصد السبيل. كما كان مما جعلته امتدادا لما كتبه في إعلامنا في سلسلة مذكورة أن أصدرت سلسلة من الكتب تحت عنوان الثلاث الأضاحي في العقيدة والشريعة وقد نافى ما طبعته ونشرته على أربعين كتابا نسأل الله القبول وفيما يخص توجهاتي الكتابية فقد كتبت حواراً مع القاديانية وجهاً لوجه مزوداً بالتوثيق الفوتوغرافي وكان ذلك عام ١٣٨٨هـ وطبع الكتاب بالحجم الكبير، كما أن رحلاتي إلى دول الغرب شدت انتباهي لما شاهدته من مساجد ومراكز ومنظمات إسلامية فكتبت كتابي «وميض نار أم شعاع نور في الغرب».

هذا لم ينسني أن أتحدث عن كل مشاهداتي وأوضحها لأنقل صورة صحيحة للأجيال القادمة ولكن الحواجز كثيرة والموانع متوفرة والأمر فيه صعوبة، إذ طفت ٥٦ دولة رأيت الكثير منها ورأيت الأكثر ومع هذا فإني قد بدأت في تجميع هذا الكتاب تحت عنوان «أربعون عاماً في ٥٥ دولة».

هذا بجانب ما كنت أقوم به من كتابة ومراسلة للصحافة الإسلامية وأخص بذلك «الدعوة السعودية» ومجلة «البلاغ» الكويتية وقد نشرت الكثير من رحلاتي وشاركت في هاتين المجلتين بعض ما سمح به الزمن أذكر ما كتبته تحت عنوان «من الرياض إلى الرباط» وكذا عنوان «أوغندا تلبس ثوب الحداد» ومقال «فنزويلا أمل وعمل» في مستقبل الإسلام فعسى أن تتاح فرصة لجمع تلك المقالات وكتابتها في سجل واحد وكما أشرت في مطلع الحديث لست من المؤلفين الذين يجمعون الكتب ويبوبون الأبواب ربما تكون هذه الكتابات هي محور عمل إسلامي تستنير بها الأجيال القادمة فالتاريخ ليس إلا حكاية من مضى فهو مرآة ساطعة تكشف غابر الأحداث، وكم يتمنى القارىء أن يسمع عن كل ما قيل أو كتب عن أزمان غابرة وإن كان عمر الإنسان لا يتسع لقراءة كل ما كتب أو قيل ولكن لكل توجهات من يتلاقاها ويهواها وكما قيل: وللناس فما يعشقون مذاهب ولا زلت أطمح أن يمن الله علي بعمر مديد واستعداد لأقول بعض ما شهدته أو رأيته من تلك الأماكن واختلاف الأجناس والله القادر على كل شيء. وكان بذاكرتي أن أصف العالم وفق القارات والطبائع البشرية ولكن الإسلام يمقت العصبية ويمقت الاعتزاز بجنس دون آخر، ومع هذا فإن التفضيل وارد بين البشرية كما في قوله سبحانه: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾.

بقي أن أقول لو سُئلت عن أي القارات أو الدول كنت لها محباً فأقول إن لكل دولة حسناتها وسيئاتها وسلبياتها وإيجابياتها، فالغرب لا شك أنه سبق العالم بصناعته وتنظيمه وتقدمه في التعليم. إلا أنه فقد حاسسية الرابطة الإنسانية، فهو كالرجل الذي أهواؤه مكيانيكية تعمل في دائرتها أما المشرق فقد أسميه المشرق الإسلامي وإن لم يكن قد أخذ نصيبه من التعليم العصري والتكنولوجيا الحديثة، فإن من طبيعته ما يمكن أن يقال إنه إنسان في أدبه واحترامه، بل في روحانيته وقدسيته وعبادته لله عز وجل وإن مما لا بد أن نقول إن العالم الإفريقي وبالأخص الزنجي رغم انتسابه الكثير للإسلام وحبه للإسلام إلا أن طبيعته جفاف الروح وضعف العاطفة، بل أقول القصر في التفكير ولذا كان لأوروبا وصمة عار حينما استعبدت الأسود فترة كان الأوروبيون يسيطرون على العالمين العربي والإسلامي وحسبنا الله ونعم الوكيل.

سماحة العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ

□ لقد عايشتم وعملتم مع سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ .. ماذا في الذاكرة عنه؟

– السجية هي الجبلة التي طبع عليها الإنسان وهي التي لا تأتي بالتطبع ولا

■ رثيت أصحاب السماحة محمد بن إبراهيم وعبداللطيف بن إبراهيم وعبدالملك بن إبراهيم رحمهم الله

■ كتبت قصيدة عصماء عن جزيرة سيلان؟!

بالتكلف وقد طبع – رحمه الله – على سجايا فذة ونعوت نادرة أذكر منها ما يلي:

الصمت الدائم فهو لا يتكلم إلا عند الحاجة والضرورة وإن تكلم فبكلمات موزونة وألفاظ معدودة فهو أشبه بمن يملي كتاباً أو يقرر على حديث ويفصل في مسألة فقهية، وكان إذا تكلم يفصح غاية الإفصاح بكلام عربي ولا يتكلف في مخارج الحروف ولكنه يعطي المقام حقه حتى أن السامع ليقتنع من كلامه من غير ترداد ولا تكرار، وقد شاهدت في مجالس الشيخ – رحمه الله – كأن على رؤوس الحاضرين الطير لا يتكلم أحد ولا يسر أحد إلى من بجواره وتظهر هيبة المجلس والوقار بصمت الشيخ وذكره الله سراً ويجهر أحياناً حتى يسمع من حوله.

أنه إذا تعجب قال: سبحان الله، وقد يقولها منكراً على من تكلم أو عمل عملاً ينكر عليه فهو لا يجابه المخاطب بكلمات بذيئة أو جارحة وإنما كل ما في الأمر أن يقول سبحان الله، وهذا يكفي في تقريع المخاطب والإنكار عليه.

أنه في جلسته الواحدة ا كأنها جبل أشم لا يتحرك ولا يعبث بيديه ولا يمد رجله بل يجلس متربعاً متكئاً على متكأين عن يمينه وعن يساره فلا يكاد يتحرك إلا شفتيه وربما نصب رجله اليمنى وخفض رجله اليسرى ووضع يده على رجله اليمنى وفيما قبل ١٣٨٠هـ لم يكن في المجالس ما يدعى بالكنب أو الكراسي الوثيرة فكان مجلسه على ما ذكر متكأين وفراش من الزل والبسط.

أما في المسجد فكان مجلسه على الحصباء من البطحاء وكان يرتاح لهذا المجلس من غير سآمة ولا ملل.

سبق أن سافر أحد تلاميذه إلى مصر للدراسة وعاد إلى نجد فأشار على الشيخ أن يكون له كرسي في مجلسه ليرتاح عليه فسمعت الشيخ وهو يقول متعجباً هذا فلان يقول لي ضع لك كرسياً وهو يسوق هذا الكلام وهو يقول هذا الكلام مشيراً إلى ما تأثر به هذا الرجل الذي سافر من رؤية علماء مصر وهم يجلسون على الكراسي، وهذا ما قبل ١٣٨٠هجري.

ومن سماته رحمه الله أنه لا يكثر الاحتفاء بالزائر بكلام مردد أو استرسال في حديث عام، بل كان يكتفي برد السلام والسؤال عن الحال ثم يتم الجلوس والهدوء، إلا ما كان مع خواص إخوانه وتلامذته.

وكان رحمه الله يحب الرياضة بالجري

■ اندثرت آثار التيجانيين واضمحلت اعمالهم وباؤوا بالفشل

■ سماحة العلامة محمد بن إبراهيم لا يتكلم إلا بكلمات موزونة وألفاظ معدودة

سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم إذا تحدث فكأنه يملي على كاتب

والحركة وقد رأيته يتسلق السلم بقوة وحركة حتى لكأنه مبصر، كما كان له في كل أسبوع بعد العصر يخرج إلى البر خارج المدينة فيجري مسرعاً، كما ذكر لي بعضهم أنه إذا خرج اجتمع أربعة نفر يأخذون بطرف العصا وهو يأخذ بالطرف الآخر فيتجاذبونها فلا يستطيعون زحزحته من مكانه ـ رحمه الله ـ.

ومن سماته رحمه الله أنه لا يتجاوب مع الدعوات الخاصة إلا نادراً كأمثال الشيخ: محمد بن فارس، وأخيه سماحة الشيخ عبداللطيف ونفر قليل من خواصه وأحبابه، وذلك حفاظاً على الوقت.

ومن سماته – رحمه الله – أنه يحب الطيب ويختار من العود أطيبه وفي كل جلسة يجرى الطيب في مجلسه وكان يكسر العود بنفسه ويسأل من حوله هل فيه بياض، فإن كان فيه بياض في داخله عزله لردائته، وإن لم يكن مجوفاً وليس فيه مادة بيضاء يدل على جودته ويستعمله.

□ وماذا عن صفاته العلمية؟

– أما ما تحلى به من الصفات العلمية فهو الفقيه المحدث المفسر، فأما الفقه فكان يأخذ بالمذهب الحنبلي المتناقل عن مشايخه وأئمة الدعوة في هذه البلاد المباركة فلا يكاد يتجاوز فيما يفتي به أو يحكم أو يحكم على القول الراجح من المذهب، وهذه سمة اتخذها أئمة الدعوة تضييقاً لفجوة الخلاف وتشعب الأفكار في أمور جزئية هي محل للاجتهاد وبعض المسائل قد تكون فرضية لا وجود لها من الواقع لذا فإن مشايخنا على العموم يتقيدون بالمذهب الراجح من مذهب الإمام أحمد ويكفي شرفاً أن إمام هذا المذهب هو محدث وفقيه ومحقق في علم التوحيد والعقائد، حتى دعي – رحمه الله – بالصديق الثاني فأبو بكر صمد في الردة وأحمد بن حنبل صمد في الفتنة.

أما علم الحديث فقد تلقاه عن سلسلة من العلماء أبرزهم شيخه ومعلمه الشيخ سعد بن حمد بن عتيق الذي أخذ سلسلة علم الحديث من علماء الهند نذير حسين الدهلوي، والشيخ نواب صديق حسن خان القنوجي وغيرهما من علماء الحديث.

وكان علم الفقه والحديث في مجالس الشيخ كفرسي عنات لا يقرأ الفقه إلا ويعقبه دراسة علم الحديث إلا أن مشايخنا وإن أخذ بعضهم الإجازة من مصر والهند كالشيخ عبدالرحمن بن حسن والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن من مصر، والشيخ سعد بن عتيق والشيخ اسحاق بن عبدالرحمن أخذها من الهند إلا أن هذه الإجازة لم تسر ولم تكن مألوفة لدى العلماء إلا النادر ولذا كان الشيخ – رحمه الله – لم يعط الإجازة لأحد فيما علمت وإنما نهاية ما في الأمر أن يرشح طالب العلم للقضاء والتدريس وهذا يعتبر إجازة وتزكية وتعريفاً بطالب العلم أنه أهل للتدريس والقضاء وهذا الصنف من الناس كثير لا يمكن حصر أسمائهم فهم حصيلة خمسين عاماً منذ ١٣٣٩هـ إلى ١٣٨٩هـ وأغلب من تولى القضاء في المملكة على اختلاف مناطقها هم من تلامذة الشيخ أو تلامذة تلامذته.

□ وهل تعرف شيئاً عن عبادته؟

– كان – رحمه الله – صاحب قيام ليل وكان من عادته أن ينام مبكراً ويستيقظ الثلث الأخير وفيما بين عام ١٣٧٠هـ إلى ١٣٨٠هـ كانت بيوت الرياض، تدوي بقراءة القرآن وصلاة التهجد أذكر من هؤلاء على سبيل المثال الشيخ عبدالعزيز الشثري العالم العابد التقي الثري الذي يجهر بصلاته آخر الليل إذ كانوا يبيتون على السطوح قبل انتشار أجهزة التكيف ومن أولئك الشيخ صالح النمر الذي كان يجهر في تهجده حتى يسمعه من حوله فكانت ظاهرة في كثير من أهل الرياض التهجد وقيام الليل وكان الشيخ – رحمه الله – من أسبق الناس على قيام الليل وبما أن مساجد الرياض بالبطحاء والحصباء ثم بالحصر فكانت جباههم كأنها مبارك الغنم من السجود.

فالشيخ محمد – رحمه الله – أكثر تطوعه في البيت ولا يخرج إلى المسجد إلا أوقات الصلاة أو لأداء الدروس والمسجد هو مسجد الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، والذي كان هو مقر التدريس للشيخ وأسلافه من قبله.

وخلاصة القول إن عبادة الشيخ ليست إلا سراً بينه وبين ربه وكان اهتمامه بالتدريس وقضاء حوائج الناس والقرب من الحكام هي من أعماله الرئيسة التي يرى أن النفع المتعدي أفضل من النفع القاصر على فاعله.